

## نظرات معاصرة في الجغرافيا و التنمية

سلطان سعيد فاضل مطلق الجبوري

مديرية تربية صلاح الدين

(قدم للنشر في ١ / ٣ / ٢٠٢٢ ، قبل للنشر في ٢٨ / ٣ / ٢٠٢٢)

### ملخص البحث:

تدرس الجغرافيا العلاقات والتأثير المتبادل بين الظواهر وبين الإنسان من وجهة نظر السبب-النتيجة. وهذه النظرة الشمولية للجغرافيا تجعل منها العلم الوحيد الذي يقوم بدراسة عدة ظواهر مع استهداف الإنسان في نفس الوقت، إذ تظل الحاجة ماسة لها رغم وجود العلوم المختصة بدراسة المواضيع التي تدرسها الجغرافيا؛ والذي أدى بدوره إلى اكتساب الجغرافيين القدرة على المساهمة في حل العديد من المشكلات العالمية؛ وانشغالهم في عدة مجالات تطبيقية مختلفة.

وجاء هذا البحث بهدف توضيح ماهية وطبيعة الجغرافيا وموضوعها، إشكالياتها، تغيير محتواها ومفهومها، وأهدافها، لما لذلك من أهمية لدارسي الجغرافيا والذي قد يمكن من وضع حدود لعلم الجغرافيا مستقبلاً، متبعاً في ذلك المنهج الاستقرائي.

**الكلمات المفتاحية:** الجغرافيا، التنمية ، الجغرافيا التطبيقية

## ABSTRACT

Geography studies the relationships and mutual influence between phenomena and man from the point of view of cause–effect. This holistic view of geography makes it the only science that studies several phenomena while targeting humans at the same time, The need for geography remains urgent despite the existence of sciences specialized in studying the topics studied by geography; which leads geographers gaining the ability to contribute in solving many global problems; and preoccupation with several different areas of application.

This research aims to clarify the nature and being of geography and its subject, problems , changing its content and concept change , and its objectives, because of their importance for students of geography, to put limits for geography science in the future by following the inductive approach.

Key words: geography, development, applied geography

## المقدمة

بدا التغير الجذري للجغرافيا في القرن التاسع عشر نتيجة الدراسات التي أثبتت تأثير البيئة الطبيعية على الكائنات الحية. ومع زيادة التقدم العلمي والتكنولوجي زادت المواصلات والتأثيرات فيما بين الأفراد والمجتمعات بعد سنة ١٩٨٠ وتطورت ظاهرة العولمة بشكل متسارع، والأحداث والتطورات التي حصلت في المسيرة الإقتصادية والسياسية في النصف الثاني من القرن العشرين وبدايات القرن الحالي، فضلاً عن تناقص مصادر الطاقة والتنافس على السيادة العالمية؛ واستخدام المنهج الكمي والتقنيات والبرامج الحديثة في الدراسات الجغرافية مما زاد أهمية الجغرافيا؛ وأثرت على ماهيتها وموضوعها وميدانها وأهدافها.

تتحدد مشكلة البحث في عدم وضوح ماهية وطبيعة العلاقة بين الجغرافيا والتنمية. ويهدف البحث إلى توضيح ماهية وطبيعة العلاقة بين الجغرافيا والتنمية. وتتبع أهمية البحث من ضرورة إمام دارس الجغرافيا بحقيقة

وجوهر تخصصه؛ لا سيّما أن الجغرافيا قد واكبت التطور حتى وصلت إلى ما وصلت إليها الآن. وانطلق البحث من **فرضية** علمية رئيسة مفادها: يمكن وضع حدود لعلاقة الجغرافيا والتنمية من خلال توضيح ماهية الجغرافيا وطبيعتها وعلاقتها بالتنمية.

**منهج البحث** وللوصول إلى هدف البحث فقد اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي منهجاً رئيسياً للدراسة. أما **هيكلية البحث** فقد قُسم البحث إلى ثلاثة محاور، خُصص المحور الأول لتوضيح النظرة العامة لمفهوم الجغرافيا، وعُني المحور الثاني بالتطورات الحديثة في الجغرافيا المعاصرة، واهتم المحور الثالث بتوضيح العلاقة بين علم الجغرافيا والتنمية، ثم اختتم البحث بالاستنتاجات والتوصيات.

### المبحث الاول: نظرة عامة للجغرافيا

أظهرت الدراسات ذات العلاقة بالعلوم الطبيعية والتي أجريت في القرن التاسع عشر حقيقة تأثير البيئة الطبيعية بدرجة كبيرة على الكائنات الحية. والمشاهدات التي جرت على حياة النباتات والحيوانات وجدت أنها مرتبطة لحد كبير بظروف البيئة المتنوعة، وهذا مهّد الطريق أمام التغيير الجذري في الجغرافيا. والإنسان ككائن حي لم يكن بعيداً عن تأثيرات البيئة الطبيعية على الإطلاق. ومع دخول هذه المفاهيم في علم الجغرافيا بدأت النشاطات المتعلقة بالمجتمعات البشرية تؤخذ من وجهة نظر علاقاتها بالشروط البيئية. وبهذا الشكل كانت الخاصية الثابتة التي تحملها العناصر الطبيعية كالمناخ والتربة والغطاء النباتي والبحار قد اكتسبت مفهوم وظيفي وحركي في الجغرافيا. وقديماً كانت الجغرافيا تصف الظواهر بأسلوب تصويري دون البحث في أسبابها؛ وحالما اهتمت الجغرافيا بدراسة الأنشطة الإنسانية من حيث علاقاتها القائمة بسطح الأرض وذلك بالاعتماد على مبدأ السببية؛ حينها اكتسبت الجغرافيا صفة العلمية.

ومصطلح الجغرافيا مشتق من كلمة **Géo-Graphê** في اللغة الإغريقية بمعنى (وصف الأرض)؛ وبشكل عام يمكن القول بأن موضوع الجغرافيا هو دراسة سطح الأرض وما عليها من ظواهر. ولتنوع ظواهر سطح الأرض يمكن تقسيمها إلى قسمين: طبيعية وبشرية، وأن الظواهر الطبيعية التي تتناولها الجغرافيا وكذلك الظواهر التي تظهر عليها أثر الإنسان (الظواهر البشرية)؛ هي في الواقع تقع ضمن ضوابط ومجالات دراسة العلوم الأخرى وأفرعها. والسؤال الذي يطرح نفسه: طالما هناك علوم تتخذ من الظواهر الطبيعية والاجتماعية المتنوعة ومن خصائص وسلوك

الإنسان موضوعاً لها؛ فما هو الهدف الذي تسعى الجغرافيا إلى تحقيقه من خلال تبنّيها دراسة الظواهر التي تعنى بها بخلاف تلك العلوم؟

بهذه النظرة الواسعة للجغرافيا على سطح الأرض لا يمكن الاعتقاد بدراستها لجميع هذه الظواهر بصورة مباشرة ومتعمقة، وكما هو معلوم أن ظواهر سطح الأرض تجري في محيط ما يسمى بالبيئة الطبيعية؛ وأن جميع الأحياء تواصل حياتها فيها، وتذهب العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية إلى دراسة الظواهر التي تُعنى بها دراسة منفردة مجردة عن الإنسان وبقية الأحياء التي تتواجد في البيئة الطبيعية. بتعبير آخر: إن ما يهم هذه العلوم من الظواهر والأحياء التي تعيش في البيئة الطبيعية بالدرجة الأساس هو الظواهر والأحياء ذاتها وماهيتها. غير أن عناصر البيئة الطبيعية تؤثر وتتأثر كل منها على الآخر.

وما يهم الجغرافيا أكثر من الظواهر والعناصر الموجودة في البيئة الطبيعية؛ هو العلاقات والتأثير المتبادل فيما بينها. ومع وجود الإنسان في داخل البيئة الطبيعية وتواجده تحت تأثيرها يجب دراسته في هذا المحيط بشكل يختلف تماماً عن بقية الأحياء. فالإنسان بتقدمه المستمر في العلوم وبسبب التقدم التقني أظهر ردّ فعله مقابل تأثيرات البيئة التي يعيش فيها، وإذا تم الأخذ بالحسبان توصل الإنسان لمحاولة السيطرة على قوى الطبيعة؛ حينها تبدو العلاقات أكثر تبايناً فيما بين الإنسان والطبيعة. لأن استمرار كفاح الإنسان مع البيئة غير كثيراً البيئة التي يعيش فيها؛ فهو إما أتلّف ودمّر بعض الأشياء فيها؛ أو أضاف بعض الأشياء الجديدة عليها في أحيان أخرى. وقد وصلت هذه التغيرات بمرور الزمن إلى دراسة تأثير القوى الطبيعية على الإنسان؛ وتوضيح دور الإنسان المتزايد كعامل مؤثر على البيئة التي يعيش فيها، مما فتح الطريق أمام تحوّل البيئة إلى محيط ذو خصائص ومظاهر مختلفة. وفي هذا المحيط يقف الإنسان بجانب العناصر الطبيعية من خلال علاقاته المتبادلة معها من خلال الآثار الناجمة عن نشاطاته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية؛ فضلاً عن الآثار الناجمة لبعض الكائنات الحية الأخرى. وهذا المحيط الجديد يشكّل ميدان الدراسات والأبحاث الجغرافية بمعناه الحقيقي والمسمى "المحيط الجغرافي".

وأبرز ما يميّز "المحيط الجغرافي" هو الارتباطات أو العلاقات الناجمة عن التأثيرات المتبادلة فيما بين الظواهر والتراكيب المتواجدة فيه. أي أن الظواهر التي يتضمنها المحيط الجغرافي تشكّل مجمل التأثيرات المتبادلة المرتبطة بالظاهرة نفسها من جهة؛ والتأثيرات المرتبطة عليها من جهة أخرى، ولا يمكن التفكير والبحث في الظواهر الجغرافية خارج هذا المجمل. فالمطر مثلاً هو ظاهرة طبيعية بحد ذاتها؛ وكما يكتسب خاصية جغرافية يجب وجود ارتباط بينه وبين الظواهر الطبيعية والبشرية. فإذا كان للمطر من حيث نظام وكمية التساقط علاقة بأشكال السطح

ومراكز الضغط الجوي وله تأثير على توزيع السكان وكثافة السكان والحياة الاقتصادية في تلك المنطقة؛ حينها يمكن اعتباره ظاهرة جغرافية. وكذلك الحال بالنسبة للمحاصيل الزراعية والأرقام المتعلقة بإنتاجها كمحصول الشاي والذرة والقطن والتي لا تمثل بصورة مباشرة ولوحدها ظاهرة جغرافية؛ فإذا كانت لها علاقة وارتباط بالمناخ والتربة والمقومات البشرية؛ حينها ستكتسب خاصية الظواهر الجغرافية التي تدخل ضمن مجال دراسة الجغرافيا. فالهدف الأساسي للجغرافيا باختصار هو: دراسة الظواهر الطبيعية والبشرية والاقتصادية والسياسية دون تجريدها وعزلها من البيئة التي تتشكل فيها؛ ودراسة ارتباطات هذه الظواهر مع بعضها البعض وعلاقتها بسطح الأرض؛ فضلاً عن دراسة التوزيع المكاني لها في العالم وأسباب هذا التوزيع<sup>(١)</sup>.

### وقد وضع الجغرافيون خمسة مبادئ يمكن الإستعانة بها للتعرف على الظاهرة الجغرافية، وهي:

- ١- أن تكون الظاهرة واضحة على الأرض، أو يمكن رؤيتها على الخريطة.
- ٢- أن تكون الظاهرة واسعة الانتشار، فضلاً عن التباين والاختلاف المكاني.
- ٣- أن تكون الظاهرة مرتبطة بغيرها من الظواهر بعلاقات متبادلة.
- ٤- أن تشغل الظاهرة المعنية مساحة معينة.
- ٥- أن تكون الظاهرة مهمة بالنسبة للإنسان، بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

ولابد من الإشارة الى ان هناك شبه إجماع بين الجغرافيين على أن تكون الظاهرة الجغرافية مادية ثابتة راسخة في المظهر العام (اللانديسكيب)، حتى إن بعض الجغرافيين مثل (إيلي) يرى أن الجغرافية الحضارية ينبغي أن تصبح دراسة للرواسخ أو الثوابت الحضارية<sup>(٢)</sup>.

وقد كانت الجغرافيا أم العلوم؛ وبمرور الزمن ومع تنوع وتراكم المعلومات المتعلقة بسطح الأرض ظهرت على الأوساط علوم جديدة، كعلم الجيولوجيا الذي يدرس تكوين القشرة الأرضية وصخورها المتنوعة؛ وعلم الأحياء الذي يدرس الكائنات الحية التي تعيش على سطح الأرض. كما أدى التراكم المعلوماتي الضخم عن مواضيع أخرى إلى ظهور علوم عديدة تدرس المواضيع التي تدخل ضمن مجالات علم الجغرافيا؛ كعلوم المناخ والجيومورفولوجيا والهيدرولوجيا والأحياء والاجتماع والفلك والاقتصاد والسياسة وغيرها، وبظهور وتطور هذه العلوم المتخصصة فلماذا يتم الاحتياج إلى الجغرافيا إذاً؟ فمثل هذه التساؤلات من قبل غير المختصين في الجغرافيا يثير تفكير العديد من

الجغرافيين. فالجغرافيا ليست العلم الوحيد في العالم الذي يدرس سطح الأرض ومكوناتها، لكنها العلم الوحيد الذي يجمع المعلومات من العلوم الأخرى ويجعل منها مركباً ثم يجري التحليلات المكانية حسب علاقات السبب- النتيجة القائمة فيما بينها.

### المبحث الثاني: التطورات الحديثة في الجغرافية المعاصرة :

إن اهتمامات علم الجغرافية المعاصرة تمضي في الاتجاه الصحيح الذي يليه حاجة العصر لكي تواكب الجغرافية فعل المتغيرات التي ادت ولازالت تؤدي دوراً مهماً ولا تكاد تتوقف عند حد معين وهو أمر طبيعي، وعليه يبدو أن الاجتهاد الجغرافي يطاوع أو يتجاوب مع فلسفة الفكر الجغرافي المعاصر في ظل مفاهيم واهتمامات علم الجغرافية المعاصرة لا بد من استعراض أهم التطورات الحديثة في الجغرافيا واهمها:

### أولاً : الثورة الكمية :

يعتقد البعض أن الجغرافية الكمية لا تعدوا أن تكون مجرد تعامل مع أرقام أو صياغة التعبيرات الجغرافية اللفظية القديمة في تعبيرات كمية جديدة، هذا وإن الأسلوب الكمي ليس أسلوباً جديداً بل هو أسلوب قديم ترجع جذور استخدامه في علم الجغرافية إلى العهد الإغريقي ، وأن الأدب الجغرافي القديم زاخر بالأرقام والتي تتمثل بالمساحات وأعداد السكان والمنتجات الزراعية وغيرها من البيانات الخاصة بمختلف المناطق، غير أن الأسلوب الكمي لا يقف عند هذا الحد لأنه ليس مجرد تعامل مع أرقام فحسب بل هو أسلوب حديث متكامل<sup>٣</sup> .

وترجع بدايات استخدام الأسلوب الكمي في الجغرافية إلى أواخر الخمسينيات، إذ شهد علم الجغرافية في تلك الفترة تطورات جذرية لم تقتصر على أساليب البحث فحسب ، بل اعتمد هذا الأسلوب على دراسة العلاقات المتبادلة بين المتغيرات الجغرافية ، فيقصد بالأسلوب الكمي التعبير عن الظواهر الجغرافية والعلاقة فيما بينها بأساليب رقمية، فهو يختلف عن الاتجاه التقريبي الذي يعبر عن الأسلوب الوصفي للظواهر الجغرافية<sup>٤</sup> . هذا ولقد تم اعتماد الأسلوب الكمي في تمييز العلم عن الإحساس العام الذي يقتنع بالقياس الذي يقع عليه الجانب الكيفي<sup>٥</sup> . كما ان الكم في الدراسات الجغرافية شغل الباحثين في التحليلات الجغرافية لكونها تحقق غايات متنوعة هي:

١- الكشف عن التباينات المساحية والمكانية

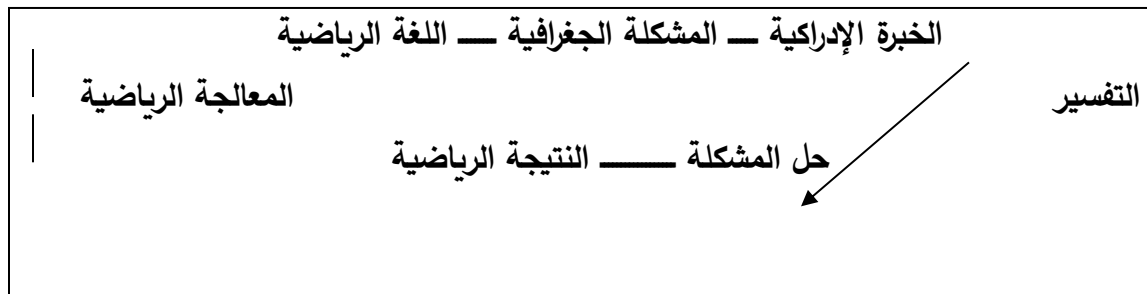
٢- التأكيد على علاقات التوطن

٣- الكشف عن الارتباطات الوظيفية<sup>٤</sup>.

أما الزخم من الكتابات التي استخدمت الطرق الإحصائية فقد انتشر في الخمسينيات وتساعد في الستينات حتى وصل ذروته في تلك الحقبة من القرن الماضي ، إذ استخدم الجغرافيون هذا الأسلوب بهدف الوصول إلى نتائج رقمية محددة تختصر الكثير من التحليلات الوصفية الكيفية في تفسير الظواهر الجغرافية وظهور ما يسمى بـ ( الثورة الكمية ) أو ( الجغرافية الجديدة ) ، وبرز " ديفيد هارفي " ( Harvey.I ) وهو أحد المغالين في الدفاع عن الأسلوب الكمي ، والذي أعتبر أن النظرية هي أساس القوانين العلمية في كتابه الوصف في الجغرافية ( Explanation In Geography ) الذي ألفه عام ١٩٦٩ لخص فيه العلاقة بين الجغرافية والطرق الإحصائية بالمخطط البسيط التالي<sup>٦</sup>:

### الشكل (١)

#### علاقة الجغرافية بالطرق الإحصائية لهارفي\*



المصدر: محسن عبد الصاحب المظفر، فلسفة علم المكان ط ١ ، دار الصفاء للطباعة، عمان، الأردن ، ٢٠٠٥ ، ص ٢١٩ .  
وقد لاقى هذا الاتجاه تجاوباً من قبل العديد من الجغرافيين في مختلف المواضيع الجغرافية ، فالاتجاهات التي قام بها ( ديجير ) في السويد طبقت فيها الأساليب الرياضية بمقارنة مواقع النشاط الحضري والصناعي، وكذلك هو الحال عند جغرافي المدن كريستالر وفيير في موقع الصناعات ولوش وغيرهم<sup>٧</sup> .

إن التجاوب مع المنهج الكمي قد اختلف ما بين فروع الجغرافية نفسها ، وقد كان الفرع الأكثر تطبيقاً لهذا الأسلوب هو علم الخرائط والجغرافية الاقتصادية، فضلاً عن بعض فروع الجغرافية الطبيعية كعلم المناخ والجيومورفولوجيا ، أما الجغرافية السياسية فهي الأقل تقبلاً لهذا المنهج<sup>٨</sup> . وبالرغم من فاعلية هذا الأسلوب وحيويته في بناء وتطوير علم الجغرافية والمزايا التي يتمتع بها والتي لها فوائد جمة في مجال البحوث والمقالات الجغرافية الرياضية ولها نتائج رصينة، إلا إنه ومع هذا لم يفلت من سهام النقد والتجريح وكثرة الجدل الذي لاقاه من قبل المتخصصين في هذا المجال.

### ثانياً: الثورة السلوكية ( جغرافية السلوك أو علم مكان السلوك ) :

تعرف جغرافية السلوك بأنها الجغرافية التي تدرس سلوك الإنسان في بيئته على أساس معرفته الإدراكية لبيئته لاسيما إدراكه للمكان المفضل له وصور اتخاذه للقرار بشأنه، هذا وإن اهتمام الجغرافيين بهذا المنحى بدأ سنة ١٩٦٠ ويعد اتجاهاً حديثاً حتى كتابة هذه السطور، ومع الأسف لم تتكون لهذا الفرع مبادئ وأسس نظرية خاصة به تمثل خطط البحث فيه ومحتواه<sup>٩</sup> .

### - مفهوم التنمية

ان لفظة تنمية تعني الحركة او الفعل الذي يؤدي الى النمو، والنمو هو رديف الزيادة والكثرة والتطور. ويتضح الاختلاف بين مفهوم التنمية في اللغة العربية عنه في اللغة الانكليزية. اذ يشق لفظ التنمية من "نمى" بمعنى الزيادة والانتشار. اما لفظ النمو Growth فيعني الزيادة او (النقص)، فالنمو قد يكون سالباً او موجباً ومنه ينمو نمواً. وإذا كان لفظ النمو أقرب الى الاشتقاق العربي الصحيح، فان إطلاق هذا اللفظ على المفهوم الاوربي يشوه اللفظ العربي. وطبقاً لهذه الدلالات لمفهوم التنمية فانه لا يعد مطابقاً للمفهوم الانكليزي \* Development والذي يعني التغير الجذري للنظام القائم واستبداله بنظام آخر اكثر كفاءة وقدرة على تحقيق الأهداف. وقد كانت كلمة التنمية تستعمل كمرادف لكلمة التطور كما هو الحال في ستينيات القرن الماضي وربما استعمل مفهوم التنمية كترديد لمفهوم التحديث.

والتنمية في وقتنا الحاضر تعني عملية تغيير لمرفق عام او نشاط خدمي يتم التخطيط له بهدف زيادته ورفعته الى مستوى أعلى من مستواه السابق من اجل خدمة الإنسان وتحقيق اماله وغاياته<sup>(١)</sup> وتعد التنمية بأشكالها وانواعها المتعددة الوسيلة الامثل لتحقيق السعادة والرفاه الاجتماعي.



وفي ضوء ما تقدم فالتنمية تهدف الى الارتقاء بالإنسان نحو الافضل واشباع رغباته المادية والمعنوية وفق خطط معدة سلفاً. وهذا ما يميزها عن مفهوم التغير Ghange الذي يحدث بصورة تلقائية وفي أي اتجاه. كما تختلف التنمية عن مفهوم النمو الذي غالباً ما تختص به الدول المتقدمة التي قطعت اشواطاً بعيدة في المجال التنموي. وفي ضوء مفهوم الجغرافية (بوصفها علم التباين المكاني)<sup>(٢١)</sup>. فان فهم التباين الحقيقي للمؤشرات التنموية وتوزيعها الجغرافي وتطورها الزمني ونوع العلاقات التي تحكمها تدخل في صميم عمل الجغرافي.

### - التنمية المستدامة

بعد ان أصبحت التنمية بأشكالها وتطبيقاتها المتنوعة الشغل الشاغل للعالم حتى الأمس القريب، فان هذا العالم أدرك بعد ان تفاقمت مشاكله انه ماض في طريق يحتاج الى تصحيح وان نموذج التنمية الحالي فيه تعدي على حقوق الأجيال القادمة لاسيما بعد ان ظهرت أزمات بيئية خطيرة مثل التغيرات المناخية والتصحر وقلة المياه العذبة وتقلص مساحات الغابات، وتلوث الماء والهواء، والفيضانات المدمرة<sup>(٢٤)</sup>.

لذا يرى بع الباحثين أن التنمية المستدامة ماهي الا نموذج تنموي بديل عن نموذج التنمية السابق الذي كان يهدف الى زيادة رفاهية الإنسان بالدرجة الاولى من وجهة نظر رأسمالية.

ان الاهتمام بالتنمية المستدامة جاء نتيجة طبيعية لتنامي المشكلات والتحديات التي تواجهها البشرية، وهذه المشكلات البيئية لها ثمن وكلما زادت حدة هذه المشكلات كلما كان الثمن باهضاً وله انعكاسات سلبية على التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلدان المتضررة. ولعل أكثر البلدان تضرراً من المشكلات البيئية الدول النامية التي ليست لها القدرات والإمكانيات الكافية لا على صعيد الوقاية ولا على صعيد العلاج.<sup>(٢٦)</sup> ويتعامل البعض مع التنمية المستدامة من جانب أخلاقي لعلاقته بحقوق الأجيال القادمة، ويرى البعض أن التنمية المستدامة ردة فعل طبيعية للنظام الصناعي الرأسمالي الذي يبحث عن الربح دون النظر الى الآثار المترتبة على ذلك، لذا تحاول التنمية المستدامة إصلاح أخطاء الأنظمة الرأسمالية التي لم تكن علاقتها طيبة مع البيئة ومكوناتها التنموية المستدامة. وإذا كانت الأخيرة تعني الاستعمال المثالي الفعال لجميع المصادر عناصر البيئة فإنها تركز من جانب آخر على وجود حياة أفضل ورفاهية أعلى لكل فرد في المجتمع الحاضر والمجتمع المستقبلي أي انها بعبارة اخرى لا تحتكر موارد البيئة للأجيال القادمة فقط دون النظر الى احتياجات العالم الحاضر.

وتختلف تعريفات التنمية المستدامة بحسب الاتجاه العام فعالم الاجتماع ينظر اليها على انها دعوات باتجاه تخفيض النمو السكاني المضطرب وتقليل نسب الخصوبة وإعطاء الحقوق الكاملة للمرأة، اما القانونيين فينظرون الى التنمية المستدامة على انها دعوات باتجاه تخفيض نسب الجرائم والبناء القانوني الصحيح للمجتمع وتحسين العلاقات الدولية والقضاء على مشاكل الحدود والموارد المائية المشتركة، بينما ينظر السياسي الى التنمية المستدامة على انها توجه لترسيخ نظام الانتخابات ومشاركة جميع الأفراد في اتخاذ القرار السياسي داخل المجتمع، والقضاء على الانظمة الديكتاتورية وترسيخ قيم المواطنة والاحترام المتبادل بين الدول والتفاعل الايجابي.

### ولكي تكون التنمية مستدامة يجب ان :

١. ان تهئ التنمية للجيل الحاضر متطلبات الأساسية والمشروعة، دون أن تخل بقدرة المحيط الطبيعي على أن يهيئ للأجيال التالية متطلباتهم، أو بعبارة أخرى، استجابة التنمية لحاجات الحاضر، دون المساومة على قدرة الأجيال المقبلة على الوفاء بحاجاتهم
٢. تراعي المحددات البيئية والشروط الواجب مراعاتها فيما يتعلق البيئة الطبيعية، وان لا تؤدي الى استنزاف موارد البيئة وتكون ضامنة لحقوق الأجيال القادمة.
٢. يفترض بالتنمية المستدامة ان تؤدي الى رفع مستويات المعيشة بالنسبة للأجيال الحالية وتطوير المستويات المعيشية المتعلقة بكل جوانب الحياة (المسكن، المؤسسات الصحية، المؤسسات التعليمية، المؤسسات الخدمية).

### ٢. أهداف التنمية المستدامة:

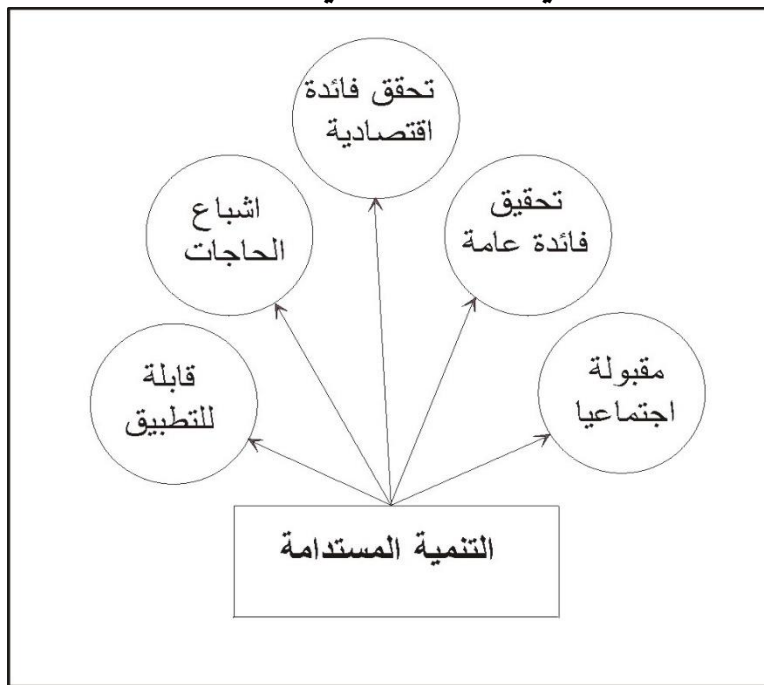
#### ترتكز التنمية المستدامة على أربع أهداف أساسية هي:

- ١- الأهداف الاقتصادية والاجتماعية: يشير هذين العنصرين الى عاملين أساسيين هما زيادة رفاهية المجتمع الى أقصى حد والقضاء على الفقر من خلال الاستغلال المتوازن لموارد البيئة. فضلا عن العلاقة بين الطبيعة والسكان وتحسين سبل الحصول على الخدمات الصحية والتعليمية الأساسية، الى جانب الوفاء بالحد الأدنى من معايير الامن واحترام حقوق الإنسان والأهداف الجانبية الاخرى المتعلقة بتنمية الثقافات المختلفة والتنوع والتعددية والمشاركة الفعلية للقواعد الشعبية في صنع القرار.

- ٢- الهدف السياسي: ويقصد بالهدف السياسي تامين انواع الحكم الديمقراطية والقضاء على القمع والاضطهاد والعنصرية ونشر مفاهيم الديمقراطية وحرية الفكر والتنقل والتعبير ومشاركة الأفراد في اتخاذ القرارات السياسية داخل المجتمع فضلاً عن تحقيق المساواة بين الرجل والمرأة وإعطاء الأخيرة حقوقها لتأخذ دورها في المجتمع.
- ٣- الهدف البيئي ويتمثل بالحفاظ على الموارد الطبيعية دون المساس بالنظام الايكولوجي للبيئة وإتباع الوسائل الحديثة للمحافظة على البيئة واجتناب الإسراف في استخدام الأسمدة والمبيدات حتى لا تؤدي الى تدهور الأنهار والبحيرات والتربة وتهدد الحياة البرية وتلوث الأغذية البشرية والإمدادات المائية، فضلاً عن استخدام الري استخداماً حذراً واجتناب تمليح أراضي المحاصيل وتشبعها بالماء الى جانب الابتعاد عن التجارب النووية ورمي النفايات في عرض البحار واستعمل الطاقة النظيفة والتوسع في استخدامها<sup>(٢٧)</sup>. كما يشترط في التنمية المستدامة ان تستحوذ على قناعات الجماهير التي يجب ان تشترك في قراراتها، الى جانب المردود الاقتصادي لها وقابليتها على اشباع الحاجات الإنسانية لاحظ الشكل (١) .

### الشكل (١)

#### الشروط التي يجب مراعاتها في التنمية المستدامة



### المبحث الثالث - العلاقة بين علم الجغرافية والتنمية ودور الجغرافي فيها

لا يقتصر الدور الجغرافي على دراسة اللامساواة المكانية Spatial Inequality او التفاوت في الدخل وعدم العدالة في توزيع ثمار التنمية التي تستحوذ عليها في الاغلب لاسيما في الدول النامية المراكز الحضرية الكبرى، بل يتسع الدور الجغرافي ليشمل توفير الأسس المادية للتنمية وتحديد احتياجاتها، فالجغرافية بحكم منهجها ومجالات بحثها واتساع نطاق دراستها تكون الأقدر على معرفة احتياجات الأقاليم والمرتكزات الرئيسية للتنمية من موارد طبيعية واقتصادية لان الجغرافي أشبه بالواقف على مكان مرتفع وينظر الى الإقليم او المنطقة نظرة شمولية واسعة من جميع الزوايا والاتجاهات وهو الأمر الذي يميزها عن غيرها من العلوم فهي تأخذ من كل علم على قدر احتياجاتها، ويعتمد علم الجغرافية على جملة من الوسائل الإحصائية والرياضية والتقنيات الحديثة المتمثلة بنظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد وغيرها من التقنيات الحاسوبية للوصول الى النتائج الدقيقة والمطلوبة لاحظ الشكل (٢).

ان لعلم الجغرافية دور مهم في حل مشكلات اللاتوازن التنموي بين الأقاليم وإعطاء البعد المستقبلي لتنمية أي إقليم وهو ما يدخل ضمن مفهوم الجغرافية المستقبلية كما تعمل الجغرافية على "تسوية" الاختلافات المكانية المتعلقة بسوء توزيع ثمار التنمية، عن طريق تقليلها او الحد منها وتوضيح مناطق الفقر التنموي ومناطق التركيز التنموي تركزها، ونقل التنمية إلى مناطق تناقصها، بغية الوصول إلى مرحلة العدالة التنموية، وهو الوضع الذي تتساوى فيه أجزاء المنطقة أو الإقليم في الاستفادة من نتائج التنمية وثمارها وتتبع الجغرافية في ذلك وسائلها الإحصائية وبرزها مؤشر مرتبة التنمية I.D.R of Development Rank Index ومؤشر حالة التنمية Development Status (I.D.S Index of)\*\*

ولا يقتصر دور الجغرافية على دراسة التنمية من الجوانب التي تمت الإشارة إليها، بل تقوم الجغرافية بإدخال التنمية ضمن مفاهيمها الرئيسية وأبرزها التوزيع والتباين والعلاقات المكانية، فهي تبحث في تباين مستويات التنمية بين الدول وتوزيع الدول بحسب موقعها في سلم التنمية.

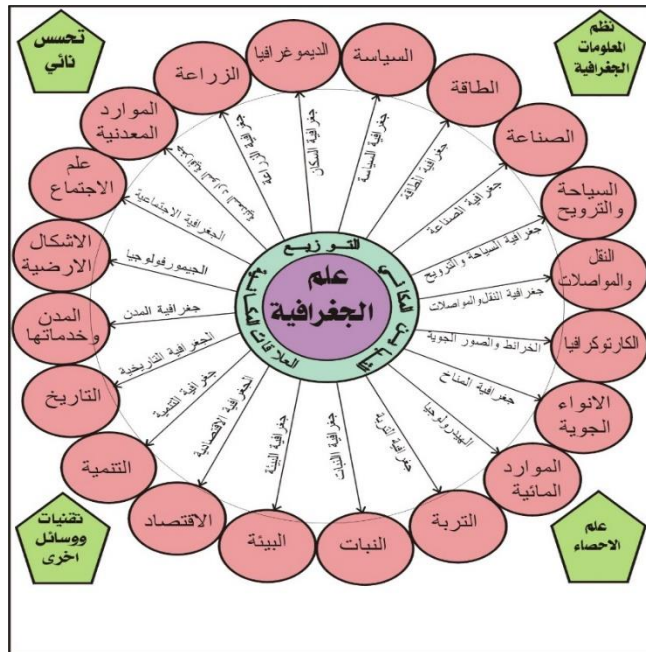
تعني التنمية أفضل السبل لاستغلال موارد اقليم ما لتحقيق رفاهية سكانه، وان هذه الموارد يختلف توزيعها من نطاق الى آخر ويختلف معها طرق استغلالها حسب مقدرة السكان على ذلك ومن ثم ينعكس ذلك على تفاوت مستويات نوعيات الحياة. ومن هنا تظهر قضية الاختلافات المكانية في مستويات التنمية ويأتي دور الجغرافية لإبراز تلك الاختلافات لذا فالتنمية البشرية جغرافيا تعني ممتلكات الأقاليم المختلفة بقصد توفير احتياجات السكان وتحسين مستويات<sup>(٣٠)</sup> كما تساهم الجغرافية في بلورة التفاعل المكاني Spatial Interaction للتنمية وما يؤدي إليه من أنماط

مكانية مختلفة، ومن هنا ظهرت جغرافية التنمية Geography of Development وهي إحدى فروع الجغرافية البشرية التي انبثقت منها التنمية المستدامة التي تعني استخدام الموارد الطبيعية بالشكل الذي يضمن المحافظة على حقوق الأجيال القادمة وتتطلب العملية ترشيد المناهج الاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية.

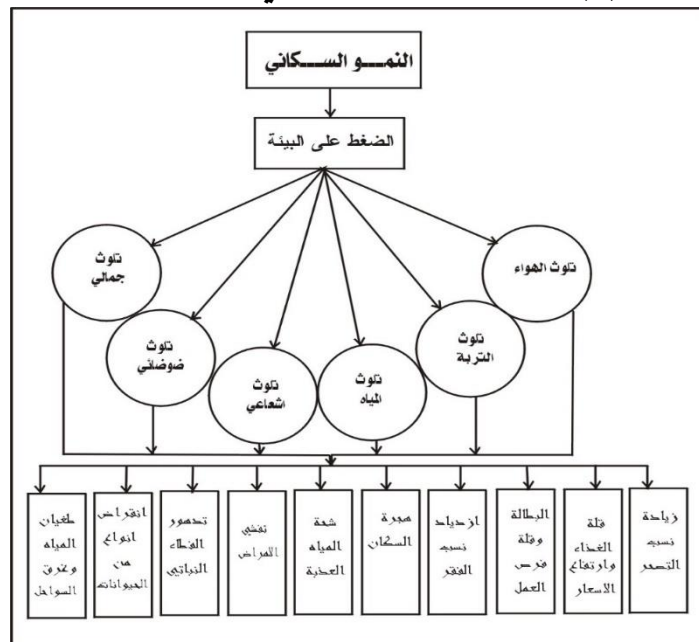
توجد عدة معوقات تقف أمام التنمية المستدامة أهمها النمو السكاني الغير متوازن ، وتختلف معدلات النمو السكاني بين الدول والأقاليم بل وتختلف حسب المستويات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية داخل الدولة الواحدة لان النمو السكاني عرضة للتأثر " بمنظومة من المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والبيئية والنفسية والسياسية " (٣١). إذا كانت العلاقة وطيدة في السابق بين الحجم السكاني وقوة الدولة، فهذه العلاقة ما عادت كسابق عهدها امام التطورات العلمية والتكنولوجية الحديثة. بل على العكس تماما إذ أصبحت الأحجام السكانية المرتفعة تشكل تحدياً أمام الموارد الطبيعية فضلا عما تخلفه من تقلص المساحات المزروعة وارتفاع مستويات التصحر وزيادة نسب التلوث وما الى ذلك من مشاكل وتحديات وازدياد في الملوثات والنفايات ، لاحظ المخطط (٣)\*\*\* فضلا عما يتطلبه هؤلاء السكان من تعليم وصحة وخدمات مختلفة. وتأسيسا على ذلك تتباين دول العالم في نظرتها للنمو السكاني وعوامل مكوناته، فبعضها يتدخل بشكل مباشر او غير مباشر للحد من تلك المعدلات او زيادتها وفق ما تقتضيه الظروف العامة للبلد (٣٢).

وبما ان علم الجغرافية من العلوم التي تهتم بدراسة السكان نمواً وتركيباً وتوزيعاً فضلاً عن دراستها للعوامل والمتغيرات ذات الصلة بتوزيع السكان، وبهذا فان دراسة التنمية تدخل في صميم علم الجغرافية. تعد التنمية المستدامة باتجاهاتها المختلفة وأسسها وإبعادها الوليدة الشرعية لعلم الجغرافية، ومن الصعوبة ان تجد التنمية فرص النجاح دون ان يكون للجغرافية دوراً فيها لان التنمية تستند على المتغيرات الطبيعية والبشرية وهي المضامين الرئيسة لعلم الجغرافية. ولا يمكن حصر دور الجغرافي في تقديم المشورة العلمية بل لابد ان يكون للجغرافي دوراً في التخطيط والتنفيذ العملي المباشر.

### الشكل (٢) علاقة علم الجغرافيا بالعلوم الاخرى



### الشكل (٣) العلاقة بين النمو السكاني والضغط على البيئة



- دور الجغرافي في التنمية والبيئة الجغرافية

للجغرافي دور كبير في المجالات التطبيقية، إذ أن دوره يتزايد يوماً بعد يوم. وقد كشفت البحوث والدراسات أن أكثر من (٧٠٪) من المعلومات والبيانات التي يتم تداولها في الجهات الحكومية والقطاع الخاص تكون معلومات جغرافية أو بيئية، ولا يوجد شك بأن الجغرافي بقليل من التدريب على تقنية الكمبيوتر أو إعداد برامج خاصة له تكون ضمن خطة الدراسة سيكون قادر على أن يتعامل مع هذه التقنية الحديثة المتطورة، والتي يتم الاعتماد عليها في العديد من المجالات وذلك مثل كل من: التخطيط العمراني والصناعي والزراعي، إلى جانب تمديدات المرافق العامة مثل كل من خدمات الهاتف والماء والغاز والكهرباء والصرف الصحي وغيرها من المجالات. التربية البيئية: التربية البيئية تعرف على أنها إعداد توعوي يساعد الإنسان على العيش بأمان ورخاء وسلام على سطح كوكب الأرض، حيث أن هذا يكون عن طريق تغيير سلوك الإنسان من ناحية مكونات بيئته، وذلك من أجل أن يقوم بالحفاظ عليها، لأن في الحفاظ عليها حفاظاً على الإنسان نفسه.

تهدف التربية البيئية إلى أن يعرف الناس أهمية المحافظة على البيئة والمشاكل التي تنتج عن الإفساد فيها وتدمير كائناتها الحية، كما أنها تعمل على إيجاد مجموعة من الأخلاق البيئية تعمل على تحقيق صداقة الإنسان مع بيئته، ولعل مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة البشرية الذي تم عقده في ستوكهولم في عام ١٩٧٠ ميلادي كان أول المؤتمرات العالمية التي اعترفت بدور التربية البيئية في الحفاظ على البيئة، كما أنها شجعت على تبادل كل من الأفكار والمعلومات والخبرات المختصة بالتربية البيئية بين دول العالم وأقاليمه المختلفة.

كما أن التربية البيئية لا تتوقف على فرع واحد من فروع العلوم بل أنها تستفيد من المحتوى الخاص لكل علم من العلوم في تكوين نظرة شاملة متوازنة، وإن كانت الجغرافيا هي من أقرب العلوم للقيام بهذه المهمة على أحسن وجه. استخدام الخرائط: إن الخريطة لم تعد أداة الجغرافي أو القائد العسكري أو مخطط المدن فقط، بل أنها أصبحت أيضاً أداة مهمة لجميع المجالات وهي الزراعة، الصناعة، التجارة، الصحة والخدمات البلدية وغيرها، ويعد الجغرافي من أفضل الذين يتعاملون مع الخريطة ويدركون أبعاد أهمية استعمالها، وقد أنشأت أقسام الجغرافيا في أغلب الأقطار أقساماً خاصة للخرائط يتدرب فيها الطلاب على كل من مهارات رسم الخرائط وتوزيع المعلومات عليها وعمليات المسح وإعداد خرائط للأماكن التي لا يوجد لها خرائط. النشاطات الاقتصادية المختلفة.

إذ يدرس الجغرافي النشاط الاقتصادي ويستطيع أن يساعده في العديد من بحوثه ودراساته وإعداد الخرائط التي تكون لازمة لذلك وتحليل البيانات والقيام بدراسات الجدوى الاقتصادية وتحديد مواقع المصانع والمزارع، كما

يستطيع المتخصص في الجغرافيا الزراعية إعداد الخريطة المحصولية لأية قطعة أرض وإعداد الدورة الزراعية الملائمة لها. العمل بالبلديات: استحدثت عدد من الدول وظيفة الخبراء الجغرافيين في الأعمال التي لها علاقة بالشؤون البلدية والقروية، ومثال على ذلك تخطيط المدن واستعمالات الأراضي بالقرى وغيرها، وأيضاً يستطيع الجغرافي أن يحدد أماكن طمر النفايات وذلك على حسب أسس جغرافية سليمة، مثل اختيار أماكن إلقاء النفايات في عكس اتجاه الرياح السائدة، بحيث تمر على المناطق السكنية قبل مرورها على النفايات، وبهذا تُثقل الروائح والغازات بعيداً عن المدينة، كما يراعى اختيار مواقع إلقاء النفايات بعيداً عن محاور نمو العمران، ويجب أن تكون هذه المواقع بعيدة عن شبكة التصريف السطحي كي لا تلوث المياه المتسربة إلى جوف التربة.

### الاستنتاجات

- ١- ان الجغرافيا كعلم تطبيقي لها دورها المهم في دراسة التنمية سواء من حيث أسسها المادية أو من خلال دراسة التفاوتات المكانية الإقليمية .
- ٢- أن التنمية الشاملة تدخل من صميم الدراسات الجغرافية لان علم الجغرافية يعد انسب العلوم على دراسة التنمية الشاملة لما لها من ميزات ولما تملكه من نظرة شمولية لموارد البيئة.
- ٣- ان الاهتمام بالتنمية المستدامة أصبح ضرورة اقتصادية أخلاقية غاية في الأهمية اذ لا يختلف اثنان على ان التغيرات البيئية المعاصرة أصبحت مشكلة وخطر محقق قائمة وما هي الا نتيجة سوء تعامل الإنسان مع البيئة
- ٤- في ضوء الإمكانيات الهائلة لبرامج نظم المعلومات الجغرافية فان لهذا النظام دور مهم في الحفاظ على البيئة وتحقيق التوازن العقلاني في الموارد الطبيعية والبشرية وضمان حقوق الأجيال القادمة وبالتالي فان تحقيق التنمية المستدامة يغد عاملاً من عوامل الجغرافي الذي يعمل على تقنية النظم الجغرافية ويسخرها لخدمة أهدافه. تستطيع تقنية المعلومات أن تؤدي دوراً مهماً في التنمية المستدامة.
- ٥- هناك العديد من المعوقات والمشاكل التي تقف عقبة أمام التنمية المستدامة أهمها النمو السكاني الغير متوازن الذي يعد قطب الرحي التي تتمركز حوله المشاكل البيئية الأخرى.
- ٦- ان التنمية المستدامة باعتبارها ضرورة ملحة تقع عند نقطة الالتقاء بين البيئة والاقتصاد والمجتمع، لذلك تتحمل وسائل الإعلام مسؤولية جعل سكان العالم أكثر وعياً واهتماماً بالمخاطر البيئية وبالمشاكل المتعلقة بها، فضلاً عن إيجاد الحلول للمشاكل الآنية والحيلولة دون نشوء مشاكل جديدة وهذا لا يتم إلا من خلال نشر الوعي البيئي.



## الهوامش

(١) Kâmil Günel, Coğrafyanın Siyasal Gücü, 4'üncü baskı, Anka Matbaacılık, İstanbul, 2008, s s 1-3.

(٢) صفوح خير، الجغرافيا موضوعها ومناهجها وأهدافها، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٠، ص ٨٠.

٣ - هالة محمد عبد الرحمن، بدايات استخدام الأسلوب الكمي في الدراسات الجغرافية، مجلة كلية الآداب، العدد ٦٥، ٢٠٠٢، ص ٦٢٦.

٤ - نفس المصدر .

٥ - عبد الرزاق محمد البطيحي، طرائق البحث الجغرافي، بيت الحكمة، بغداد، ١٩٨٨، ص ١٣.

٤ - محسن عبد الصاحب المظفر، مصدر سابق، ص ٣١٩.

٦ - يوسف يحيى طعماس، الإتجاه الكمي في الجغرافية بين الموضوعية والمغالاة، مجلة البحوث الجغرافية، العدد ١، جامعة الكوفة، كلية القائد لتربية البنات، ٢٠٠١، ص ١٧٥.

٧ - إبراهيم محمد حسون القصاب، مجلة آداب الرافدين، العدد (١٢) لسنة ١٩٧٩، ص ١٠١.

٨ - نفس المصدر .

٩ - أريلا هولت - ينسن، الجغرافية تاريخها ومفاهيمها، ط١، ترجمة عوض يوسف الحداد، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ١٩٩٨، ص ص ١٢٧ - ١٣٥.

\* في التراجم الخاصة بالسكان والتنمية فان Development تعني - تنمية - تطور - إنماء - تحسين - تنشيط - تظهير.

. المصدر : مختار جمال ومحاسن مصطفى، قاموس السكان والتنمية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٦٣.

(١) عباس فاضل السعدي، "خصائص المؤشرات الديمغرافية للتنمية البشرية وتباينها المكاني في الوطن العربي"، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد (٢٤١)، ١٩٩٩، ص ٦٩.

(٢) محمد علي الميرزا "رؤية في مضامين الجغرافية واتجاهاتها"، مجلة كلية الآداب، جامعة، بغداد، ٢٠٠٥، ص ٦١٧.

(٢٤) عبد الله بن جمعان الغامدي التنمية المستدامة بين الحق في استغلال الموارد الطبيعية والمسئولية عن حماية البيئة، جامعة الملك سعود، المملكة

العربية السعودية، الرياض، ٢٠٠٧، ص ٢.

(٢٧) المركز المغربي للدراسات الإستراتيجية إشكالية التنمية المستدامة في العالم، ٢٠٠٩

\*\* للمزيد حول مقاييس التنمية ينظر :

حسين عليوي ناصر الزبيدي، بعض مؤشرات التنمية الصحية في العراق (دراسة في جغرافية التنمية باستخدام GIS)، مجلة جامعة ذي قار العلمية،

العدد ٦، المجلد ٢، ٢٠١٠، ص ١٩

(٣٠) رفيق محمد الدياسطي، اقليم بحيرة البرلس دراسة في جغرافية التنمية البشرية، مجلة الجمعية الجغرافية الكويتية، العدد (٣١٠)، ٢٠٠٦، ص ٤

(٣١) صفوح الأخرس، علم السكان وقضايا التنمية والتخطيط لها، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٠، ص ١٠٩

\*\*\* للمزيد حول السياسات السكانية في بعض دول العالم ينظر :

- حسين عبد الحميد رشوان، السكان في منظور علم الاجتماع، الإسكندرية، ٢٠٠١، ص ١٨٣ - ١٩٥.

(٣٢) حسين عليوي ناصر الزبيدي، تباين خصائص السكان والمؤشرات التنموية في مملكة البحرين للمدة ١٩٩١-٢٠٠١، اطروحة دكتوراه، كلية

الاداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٨، ص ٢٣